من الناس؛ لأنهكتك عقوبة، ثم قال له : اجلس فجلس بين يديه قال : انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به فى أديم[1] فقال رسول الله **ما هذا الذى فى يدك يا عمر؟** فقلت : يا رسول الله : كتاب نسخته لنزداد علماً إلى علمنا فغضب رسول الله حتى أحمرت وجنتاه[2] **...** ونقل قصته بنحو رواية جابر بن عبد الله السابقة 0

ومثل هذه القصة وقعت مع الإمام أبى حنيفة لما دخل شخص الكوفة بكتاب دانيال فكاد أبو حنيفة أن يقتله، وقال له أكتاب تَمَّ غير القرآن والحديث[3]؟

وكذلك صنع ابن مسعود فى الصحيفة التى قُدِمَ بها عليه من الشام محاها ثم تلا نفس الآية التى تلاها عمر [illegible] [4]0

وقال : **"القلوب أوعية فاشغولها بالقرآن ولا تشغلوها ما سواه، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتاب ربهم"**0

---

1 () أديم، أى جلد، وقيل المدبوغ منه 0 انظر : لسان العرب 1/45 0

2 () أخرجه أبو يعلى فى مسنده ولم أجده فى الجزء المطبوع من المسند،وعزاه إليه الحافظ الهيثمى وقال: فيه عبد الرحمن إسحاق الواسطى، ضعفه أحمد، وجماعة كما قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/173، 182 0فهل يعاب عمر [illegible]

3 () انظر : قواعد التحديث للقاسمى ص 298 0

4 () وفيما سبق أبلغ رد على ما ذهب إليه بعض غلاة الشيعة من أن النهى عن الكتابة نابع من موقف سياسى 0 أى سياسة هنا! أليس فى قصة عمر مع ناسخ كتاب (دانيال) عليه السلام سنة بقصته مع رسول الله [illegible]

وهو يعنى بالكتب هنا كتب أهل الكتاب أو ما أخذت عنها كما قال أبو عبيد أحد رواة هذا الحديث فى رواية ابن عبد البر : "يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلهذا كره عبد الله النظر فيها"0

ويؤكد مرة الهمدانى الراوى عن ابن مسعود كما فى رواية الدارمى **أن الصحيفة ليست من السنة، وإنما كانت من كتب أهل الكتاب بقوله : "أما أنه لو كان من القرآن أو السنة لم يمحه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب**"0

وفيما سبق رد على ما ذهب إليه بعض غلاة الشيعة،أن محو السنة فى زمن الخلفاء، لأجل ما فى الأحاديث من فضائل لأهل البيت وحجتهم رواية ابن مسعود عند الخطيب[1]0

ولو فُرِضَ صحة رواية الخطيب، أن الصحيفة التى محاها ابن مسعود كانت فيها أحاديث فى فضائل أهل البيت، فذلك المحو محمول على أنها كانت أحاديث مكذوبة فى فضائل أهل البيت، وإلا لو كانت صحيحة لكانت من السنة وما محاها كما قال مرة الهمدانى "أما إنه لو كانت من القرآن أو السنة لم يمحه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب[2]0

---

1 () معالم المدرستين مرتضى العسكرى المجلد 2/44-45، ومنع تدوين الحديث لعلى الشهرستان ص 64، وقد تناقض فى ذلك مرة بتأييده لذلك هنا ص 64 ثم رفضه لذلك السبب وتضعيفه ص 66، 70 ثم تأييده ثانية ص 71، 81، 358، 361، 362 0

2 () وما زعمه بعض غلاة الشيعة من أن سبب النهى عن كتابة السنة زمن أبى بكر وعمر هو خوفهم من اشتهار أحاديث فضائل أهل البيت–عليهم الصلاة والسلام يكذبه الواقع فكتب السنة الصحيحة بين أيدينا، تشهد بكذب هذا الزعم، بمجرد النظر فى كتب المناقب وفضائل الصحابة، نجدها مملؤة بالأحاديث الصحيحة الواردة فى فضائل آل البيت–عليهم الصلاة والسلام–ثم إن النهى عن كتابة السنة لم يرد فقط عن أبى بكر وعمر كما يزعمون وإنما ورد أيضاً عن الإمام على كرم الله وجهه وعلته فى ذلك هى نفس أخوانه من الصحابة وعلى رأسهم سيدنا عمر :" "

وكتب أهل الكتاب هذه هى التى قال فيها أيضاً ابن عون : **"إنى أرى هذه الكتب يا أبا إسماعيل ستضل الناس** 0

وهذه الكتب أو ما أخذ منها هو ما جعل السلف الصالح يكرهون الكتابة خشية الاشتغال بها عن القرآن الكريم والسنة النبوية معاً0

وفى ذلك يقول الخطيب[1] -رحمه الله تعالى– : "فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هى لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ؛ لأنه لا يعرف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها 0 مع أن القرآن كفى منها، وصار مهيمناً عليها"[2]0

وفى نفس الوقت الذى كان فيه نهى عن الكتابة سواء فى عهد النبوة، أو الصحابة، أو التابعين؛ كان الأمر بالتحديث بالسنة وتبليغها 0

وكان هذا التبليغ للسنة معتمداً بجوار الكتابة على ملكة الحفظ، والتى هى العمدة والأساس فى وصول القرآن والسنة إلينا سالمين من التصحيف والتحريف والتبديل 0

وملكة الحفظ من مفاخر العرب وهى ملكة طبعوا عليها، والاعتماد على الكتابة يضعفها مع أهميتها، فكان التوجيه النبوى بالنهى عن الكتابة لتقوية تلك الملكة 0

---

1 () الخطيب : هو أحمد بن على بن ثابت بن مهدى، أبو بكر، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، من مؤلفاته، الكفاية فى علم الرواية، وتقييد العلم، والفقيه والمتفقة، وشرف أصحاب الحديث، وغير ذلك مات سنة 462 هـ 0 له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 3/1135 رقم 1015،= =والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة ص 153 رقم 176، ووفيات الأعيان 1/92 رقم 34، تـهذيب بن عساكر 1/399، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص 433 رقم 980، والرسالة المستطرفة ص 52، وشذرات الذهب 3/311، والعبر 3|/253 ، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير 2/441 رقم 1 0

2 () تقييد العلم ص 57، ونفس المعنى قاله الحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم 1/68 0

كما قال : **"نضر الله أمرأ سمع منا حديثاً فحفظه"0** وقوله **"احفظوه وأخبروا به من وراءكم"**0

وصار الصحابة والتابعون على الدرب نهوا عن الكتابة خوف الإتكال عليها وترك الحفظ لا سيما والإسناد قريـب والعهـد غيـر بعيد وهـذه هـى العلـة الثالثـة المصـرح بها فـى الأخبـار والآثـار الواردة فى النهى عن الكتابة 0

3- **خوف الاتكال على الكتابة وترك الحفظ،** وفى ذلك يقول إبراهيم النخعى : **"وقل ما كتب رجل كتاباً إلا اتكل عليه"** ويقول سفيان : **"بئس المستودع العلم القراطيس"** ومن كتب كتب ليحفظه فإذا حفظه محاه كما فى قول مسروق : **"إنما أريد أن احفظها ثم أحرقها"** فأقره علقمة بقوله "**فلا بأس"** وروى مثل ذلك عن ابن شهاب ومالك، وعاصم بن ضمرة، وغيرهم[1] ومر قول أبى سعيد الخدرى **"احفظوا عنا كما حفظنا"** وقول سفيان الثورى : **"وما كتبت عنه شيئاً كنا نحفظ"[2]0**

4- **والعلة الرابعة الواردة فى نفس أحاديث النهى عن الكتابة "خوف صيران الأحاديث إلى غير أهلها"** فلا يعرف أحكامها، ويحمل جميع ما فيها على ظاهره وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسوباً إلى كاتبها فى الأصل، وهذا كله وما أشبهه قد نقل عند المتقدمين الاحتراس منه"[3] **ولعل الأصل فى ذلك ما صح من أنه** ، **"كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو 0 مخافة أن يناله العدو[4]"0**

---

1 () انظر : سنن الدارمى فى المقدمة، باب من رخص فى كتابه العلم 1/139 رقم 508، وتقييد العلم ص 58-60، وجامع بيان العلم 1/64 0

2 () ومع ذمة الإتكال على الكتاب وأمره بالحفظ، كان مع ذلك يكتب احتياطاً واستيثاقاً فيما رواه عنه ابن عبد البر قال سفيان : إنى أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث أكتبه أريد= =أن اتخذه ديناً، وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به" انظر : جامع البيان العلم وفضله 1/76 0

3 () تقييد العلم ص 61 0

4 () متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنه أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد والسير، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو 6/155 رقم 2990، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب النهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو إذ خيف وقوعه بين أيديهم 7/17 رقم 1869 واللفظ له 0

وعلى هذا يحمل ما ورد عن الصديق فى إحراقه ما جمعه من أحاديث على فرض صحته[1] ونحوه قول **عَبِيْدة السلْمَانى** : بعد محو كتبه عند موته : **"أخشى أن يليها أحد بعدى، فيضعوها فى غير مواضعها"0**

ويقول أبو قلابة فى وصيته لأحد تلاميذه المقربين أيوب السختيانى : **"ادفعوا كتبى إلى أيوب إن كان حياً، وإلا فأحرقوها**[2]**0**

ويقول الأوزاعى : "كان هذا العلم شريفاً إذا كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه، **فلما صار فى الكتب؛ ذهب نوره، وصار إلى غير أهله"**[3]**0**

هذه هى علل النهى عن كتابة السنة تعلن عن نفسها بوضوح فى الأخبار والآثار التى استشهد بها أصحاب هذه الشبهة 0

وقد يتساءل بعضهم[4] **عن سبب العدول عن علل كراهة كتابة السنة وإباحة كتابتها فى عصر التدوين وما بعده إلى يومنا هذا 0**

والإجابة على هذا؛ هى ما أجاب به الخطيب بقوله : "إنما اتسع الناس فى كتب العلم وعولوا على تدوينه فى الصحف بعد الكراهة لذلك، لأن الروايات انتشرت، والأسانيد طالت، وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت والعبارات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا ... مع رخصة رسول الله ، لمن ضعف حفظه فى الكتاب، وعمل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين بذلك"[5]0

---

1 () انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 457 0

2 () تقييد العلم ص 62 0

3 () أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث 1/132 رقم 467، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 1/68 0

4 () مثل نيازى عز الدين فى إنذار من السماء ص 127،وإسماعيل منصور فى تبصير الأمة ص 311-318 0

5 () تقييد العلم ص 64، 65 0

وكما قال ابن الصلاح : "ولولا تدوينه فى الكتب لدرس فى الأعصر الآخرة"[1]، ولقد صدق رحمه الله تعالى 0

وبعــد

فقد ظهر واضحاً جلياً أن النهى عن كتابة السنة ليس لذاته، بل لعلل نصت عليها الأحاديث ذاتها التى نهت عن كتابة السنة وتدوينها 0

تلك العلل التى أغمض أعداء السنة أعينهم عنها بالرغم من وجودها صراحة فى نفس الأخبار والآثار التى احتجوا بها لشبهتهم، فإن سلموا بصحة تلك الأحاديث فعليهم التسليم بالعلل الواردة فيها، ولا يكونوا ممن قال فيهم رب العزة [illegible][2]**0**

وإن لم يسلموا بصحة ما استشهدوا به من الأخبار والآثار لم يبق لشبهتهم أساس فى أن النهى عن كتابة السنة زمن النبوة، والصحابة، والتابعين، دليل على عدم حجية السنة المطهرة، **لأنه فى الوقت الذى كان فيه نهى عن الكتابة زمن النبوة، والصحابة، والتابعين، كان فى الوقت ذاته إذن بالكتابة 0**

ولا أقول هنا بنسخ أحدهما للآخر[3]،لأن النسخ لا يصار إليه إلا عند تعذر الجمع وهو ممكن هنا 0 **وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الغنى-رحمه الله تعالى- فى الجمـع بيـن أحاديث النهى وأحاديث الإذن 0** قال : "وقد قال بالنسخ جمهور العلماء[4]، واختاره بعض المتأخرين[5]0

والحق أنه لا نسخ أصلاً، وأن النهى دائر مع الخوف -من العلل السابقة- والأذن دائر مع الأمن وجوداً وعدماً ... فإنه يجب أن لا نقول بالنسخ إلا عند عدم إمكان الجمع بغيره، **وقد أمكننا الجمع بتخصيص النهى بحالة الخوف، والإذن بحالة الأمن، مع التحديث**

---

1 () فتح المغيث للسخاوى 2/145، تدريب الراوى 2/65 0

2 () جزء من الآية 85 البقرة 0

3 () لا نسخ النهى بالإذن، ولا الإذن بالنهى، ولو صح الأول فلا يصح الثانى بحال كما سبق ص 276

4 () أى نسخ أحاديث النهى بأحاديث الإذن، على ما حكاه ابن تيمية فى جوابه فى كتابة صحة أصول مذهب أهل المدينة ص 37 0 وفى مقابل الجمهور من عكس فذهب إلى أن الإذن منسوخ بالنهى كالأستاذ محمد رشيد رضا ومن تابعه وسبق الرد عليه ص 276-278 0

5 () كالأستاذ الخولى فى مفتاح السنة ص 17، والأستاذ أحمد محمد شاكر فى الباعث الحثيث ص 112

والتبليغ فى الحالتين، وهو جمع معقول المعنى 0 فما الذى يضطرنا إلى القول بالنسخ؟

ثم إنه لا داعى للتخصيصات بالصحف أو الأشخاص أو الأزمنة كما يذكر فى بعض أقوال الجمع، بل المدار فى النهى على حصول الاشتباه من كتابة السنة مع القرآن أو مستقلة ومن كاتب الوحى أو من غيره 0 وفى زمن نزول الوحى أو فى غيره 0 والمدار فى الإذن على الأمن من الاشتباه فى هذه الأحوال كلها[1] أ 0هـ 0

وهكذا شاءت إرادة الله ، أن يكون النهى عن كتابة السنة جزء من هذا المنهاج العظيم الذى حفظت به رسالة الإسلام القائمة على الكتاب والسنة معاً0

وفى ذلك يقول الدكتور همام عبد الرحيم : "ولولا ذلك لكثرت الشروح والتعليقات على آيات القرآن الكريم، ثم اختلط الأمر على الكاتبين أو من يأتى بعدهم، فلا يستطيعون تمييز النص المتعبد بتلاوته عن سائر النصوص -سنة كانت أو رأى فقيه- وهذا ما حدث لرسالات الأنبياء قبل رسول الله ، فقد اختلطت الحقيقة بالخيال، والخطأ بالصواب، والوحى بالرؤى والأحلام 0 حتى ذهب الأصل واختفى تحت وطأة الزيادات والإضافات، فلم يعد للوحى تميزه وهيمنته، وأصبح الوحى عند اليهود والنصارى : حركة التاريخ بمعنى أن كل شىء يحدث فى التاريخ يضاف إلى الوحى، باعتباره إرادة الله وحركة ذلك فى الأحداث 0

---

[1] () حجية السنة للدكتور عبد الغنى 446 – 447 بتصرف 0

وما القراءات الشاذة -عندنا كما سبق 0 إلا إضافات تفسيرية كتبت إلى جانب الآيات[1]، ثم ظن الكاتب أنها من القرآن الكريم، ولكن الكثرة الكاثرة من الصحابة الذين أفردوا النص ولم يكتبوا شيئاً إلى جانبه، بالإضافة إلى الذين حفظوه كل هؤلاء تواترت الرواية القرآنية عنهم، وحكموا على الزيادة بالشذوذ وعدم القبول[2] أ 0هـ 0

---

1 () راجع : ص 279، 280 0

2 () الفكر المنهجى عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم ص 40، 41 0

عـلة النهـى عن كتابـة السنـة عنـد أعدائهــا والـرد علـى مزاعمهـم الآتيـة

أولاً : أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبى وأصحابه أرادوا ألا يكون مع كتاب الله كتاب آخر 0

ثانياً : أن النهى يدل على أن النبى وأصحابه أرادوا ألا تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم 0

ثالثاً : أن النهى عن الإكثار من التحديث دليل على أن الصحابة كانوا يجتهدون فى مقابل السنة الشريفة ولا يأخذون بها 0

رابعاً : أن النهى عن الإكثار من الرواية دليل على عدم حجية السنة النبوية، واتهام من أبى بكر وعمر –رضى الله عنهما- للصحابة بالكذب 0

استعراض شبه النهى عن كتابة السنة عند أعدائها والرد عليها

زعم أعداء السنة أن العلة الحقيقية فى نهى النبى ﷺ، والصحابة، والتابعين عن كتابة السنة هو :

أولاً : أنهم لم يريدوا أن يكون مع كتاب الله ﷻ كتاب آخر 0 وفى ذلك يقول جمال البنا : "والحق الذى لا مراء فيه أن الرسول نهى عن تدوين أحاديثه 0 حتى لا يكون مع كتاب الله كتب أخرى، وحديث أبى هريرة صريح فى هذا قال أبو هريرة خرج علينا لرسول الله ونحن نكتب أحاديثه ... وذكر الحديث ثم قال وهذا هو ما فعله أبو بكر عندما أحرق الأحاديث المدونة التى كانت عنده قبل أن يموت 0 كما أن عمر بعد أن استشار الصحابة فى كتابة السنن ... وذكر الحديث"[1]0

وبنفس هذه العلة وأدلتها يصرح نيازى عز الدين فيقول بعد اعتراضه على علة الخوف من اختلاط السنة بالقرآن : "وذلك التخوف لم يكن موجوداً من الأساس، بدليل أحاديث الرسول ﷺ وأحاديث كبار الصحابة، بل كان الخوف كله من أمر آخر ذكره الرسول ﷺ وذكره الصحابة أجمعون، وقد قرأنا قبل قليل فى حديث أبى هريرة، وفى الحديث المروى عن عمر بن الخطاب ﷺ، عندما أراد أن يكتب السنن وهو ألا يكون إلى جانب كتاب الله كتاب آخر، وانشغال الناس بالحديث عن كتاب الله وهذا التخوف ما زال موجوداً إلى اليوم ... **ثم يقول فى موضع آخر**، وهذا السبب وحده -يعنى ألا يكون إلى جانب كتاب الله كتاب آخر- ملزم بعدم كتابة الأحاديث إلى يوم يبعثون- ولا يمكن لهذا الأمر أن ينسخ أبداً"[2]0

ثانياً : وتارة ثانية يزعم خصوم السنة أن العلة فى نهى النبى ﷺ، والصحابة والتابعين، عن كتابة السنة المطهرة هو : أنهم لم يريدوا أن يجعلوها ديناً وشريعةً عامةً كالقرآن الكريم 0

وفى ذلك يقول توفيق صدقى : "إن ما بينته السنة للعرب فى ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم فى الأوقات المختلفة"[3] **وفى موضع آخر يقول** : "وكان بعض الصحابة ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع فى ضبطها ولتسابقوا فى نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مثبط لهم"[4]0

---

1 () السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 199 0
2 () إنذار من السماء ص 123، 127 0
3 () مجلة المنار المجلد 9/521، 908 – 912 0
4 () المصدر السابق 9/913 0

وبهذا القول تأثر الأستاذ محمد رشيد رضا[1] -رحمه الله- إذ يقول : "هل الأحاديث ويسمونها بسنن الأقوال دين وشريعة عامة وإن لم تكن سناً متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لا سيما فى الصدر الأول[2]؟ إن قلنا : نعم فأكبر شبهة ترد علينا؛ نهى النبى عن كتابة شىء عنه غير القرآن[3]، وعدم كتابة الصحابة للحديث[4]، وعدم عناية علمائهم وأئمتهم كالخلفاء بالتحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه[5]، **ونفس هذا الكلام كرره فى موضع آخر قائلاً** : "وإذا أضفت إلى هذا ما ورد فى عدم رغبة كبار الصحابة فى التحديث بل فى رغبتهم عنه بل فى نهيهم عنه قوى عندك

---

1 () الأستاذ محمد رشيد رضا : هو محمد رشيد بن على رضا، البغدادى الأصل، الحسينى النسب، صاحب مجلة المنار، وتفسير المنار، والوحى المحمدى، والوهابيون والحجاز، وغير ذلك من مؤلفاته النافعة 0 وهو رحمه الله أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة، كان فى أول أمرة متأثراً بوجهة شيخه محمد عبده، وكان مثله فى أول الأمر قليل البضاعة من الحديث قليل المعرفة بعلومه، ولكنه كما قال الدكتور السباعى – رحمه الله - : "منذ أن استلم لواء الإصلاح بعد وفاة الإمام محمد عبده، وأخذ يخوض غمار الميادين الفقهية والحديثية وغيرهما وأصبح مرجع المسلمين فى أنحاء العالم فى كل ما يعرض لهم من مشكلات، كثرت بضاعته من الحديث وخبرته بعلومه، حتى غدا آخر الأمر حامل لواء السنة وأبرز أعلامها ... ويقول الدكتور السباعى رداً على استشهاد أبى رية بكلام السيد رشيد رضا فى كتابه أضواء على السنة قال : "وكنت أتردد على بيته فأستفيد من علمه وفهمه للشريعة ودفاعه عن السنة ما أجد من حق تاريخه علىّ أن أشهد بأنه كان من أشد العلماء أخذاً بالسنة (القولية) وإنكاراً لما يخالفها فى المذاهب الفقهية وإنى على ثقة بأنه لو كان حياً حين صدر (أبو رية) كتابه، لكان أول من يرد عليه فى أكثر من موضع فى ذلك الكتاب، أ 0هـ ومات رحمه الله سنة 1354هـ – 1935م 0 له ترجمة فى الأعلام 6/361، وانظر: المجددون فى الإسلام للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ص 539 – 544، والسنة ومكانتها للدكتور السباعى ص 30، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير للدكتور فهد الرومى ص 170–187، ومحمد رشيد رضا وجهوده فى السنة للدكتور يوسف عبد المقصود، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم 1266 0

2 () الحق أن السنة القولية كانت متبعة بالعمل كالسنة العملية وهذا بلا نزاع ولا خلاف منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا 0 وهذا ما سنثبته إن شاء الله تعالى فى الرد على هذه الشبهة انظر:ص 299-306

3 () سبق الرد على ما ذهب إليه بأن النهى ناسخ للإذن ص 276 0

ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً، كالقرآن 0 ولو كانوا فهموا عن النبى أنه يريد ذلك لكتبوا ولأمروا بالكتابة، ولجمع الراشدون ما كتب وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه إلى عمالهم ليبلغوه ويعملوا به ولم يكتفوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور بجريان العمل بها"[1]0

وأيد الأستاذ رشيد رضا فى ذلك محمود أبو رية[2]، وجمال البنا فى كتابه : "السنة ودورها فى الفقه الجديد" إذ يقول: "ولا جدال فى صحة ما ذهب إليه السيد رضا-رحمه الله- من أن الصحابة "لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً دائماً كالقرآن" فالحق أبلج، ولا يقف فى سبيله تلك الدعاوى والتعلات"[3]، **وفى موضع آخر يصرح بذلك من قوله قائلاً** : "نهى الرسول عن كتابة حديثه ورفض الخلفاء والصحابة الكتابة، الدلالة الوحيدة التى تستخلص من هذه الوقائع : **الرسول والخلفاء الراشدون والصحابة أرادوا عدم تأبيد ما جاءت به السنن من أحكام"[4]**

وهكذا يذهب أعداء السنة إلى أن علة النهى عن كتابة السنة هى : أن الرسول والصحابة أرادوا ألا يجعلوا مع كتاب الله كتاب آخر، وأنهم ما أرادوا أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً كالقرآن الكريم، ويستدلون على ذلك بما مر من حديث أبى هريرة مرفوعاً وحديثى أبى بكر وعمر الموقوفان، ويزعمون أن تلك الأحاديث صريحة فى دعواهم 0

الجواب عن شبهة أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبى وأصحابه أرادوا ألا يكون مع كتاب الله كتاب آخر 0

إن ما استدل به أعداء السنة على زعمهم لا حجة لهم فيه، لأنه إذا جاء فى حديث أبى هريرة قوله **"أكتاب غير كتاب الله"** ألم يقل بعدها مباشرة **(امحضوا كتاب الله أو خلصوه)** وهو مما يشير إلى العلة الحقيقية فى النهى، وهى : **صيانة كتاب الله مما اختلط به من السنة بلا تمييز؛ بدليل :** رواية أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى وهى أصح

---

4 () سيأتى ما يثبت كتابـتهم فى الجواب عن شبهة التأخر فى التدوين ص 347-353 0

5 () مجلة المنار المجلد 9/929 وسيأتى استعراض هذه الشبهة والرد عليها ص 298، 299-306 0

1 () مجلة المنار المجلد 10/768 0

2 () أضواء على السنة ص 48 – 50 0

3 () السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 225 0

4 () السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 202، وانظر : السلطة فى الإسلام للمستشار عبد الجواد ياسين ص 238 0

سنداً من رواية أبى هريرة 0 ثم أليس فى حديث أبى هريرة أمر النبى بالتحديث والتبليغ وهو أبلغ فى حجية السنة كما مر ... وكذا حديث أبى بكر على فرض صحته أليس فيه دليل على كتابة السنة فى عهده ، **وما حرقه لما جمعه من أحاديث ليس شكاً منه فى حجية السنة، كيف! وقد علل ذلك** بخشيته أن يكون الذى حدثه وَهِمَ فَكَرِهَ تقلد ذلك كما خشى أن يتوهم متوهم أن ما جمعه هو كل ما قاله رسول اللَه فيقول هذا المتوهم، كما قال أبو بكر معللاً صنيعه : **"لو كان قاله رسول الله ما غاب على أبى بكر"** ثم يصرح بعد ذلك مباشرة بأنه حدث بحديث رسول الله ولم يجمع فى الصحيفة التى حرقها كل أحاديث رسول الله **فيقول : "إنى حدثتكم الحديث ولا أدرى لعلى لم أتتبعه حرفاً حرفاً"0**

أما حديث عمر ففيه أبلغ حجة على حجية السنة عند الصحابة أجمع فعمر عندما هم بكتابة السنة -ليس مجرد الكتابة 0 فهى كانت مكتوبة- وإنما المراد بالكتابة تدوينها تدويناً عاماً فى مكان واحد، كما كان صاحب اقتراح تدوين القرآن الكريم تدويناً عاماً فى مكان واحد زمن أبو بكر الصديق وتردد أبو بكر وزيد بن ثابت فى هذا التدوين فى أول الأمر -كان منهم تورعاً كما قالوا : **"كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟!**

فهل يستطيع مخلوق على وجه الأرض أن يقول أن تردد أبو بكر وزيد –رضى الله عنهما- دليل على عدم حجية كتاب الله عندهم[1]؟؟

ألم يقل لهم الفاروق عمر "أنه والله خير"، فكان الأمر كما قال 0

وعندما هم بتدوين السنة تدويناً عاماً، كالقرآن، واستشار فى ذلك الصحابة هل تردد واحد منهم؟ كلا! كما جاء فى الحديث "فأشاروا عليه بأن يكتبها" ولكنه عدل عن هذا التدوين فى زمنه لعدم الأمن من انشغال الناس بها والاهتمام بها على حساب كتاب الله [2] حتى لا يبقى المصحف بغبارة لا ينظر فيه كما قال الضحاك، وهذا هو معنى قوله **"وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبداً"**، ولم يقل : "حسبنا كتاب الله"0

ولو كان المراد بالانشغال عن السنة فى قول النبى والصحابة خشيتهم أن تكون السنة حجة وكتاباً آخر مع كتاب الله كما فهم أعداء الإسلام وزعمهم بأن هذا السبب "ملزم بعدم كتابة

---

1 () انظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 454 0
2 () المصدر السابق ص 455 0

الأحاديث إلى يوم يبعثون، ولا يمكن لهذا الأمر أن ينسخ أبداً" كما مر من قول نيازى عز الدين 0

لو كان هذا -الفهم الأعوج- هو المراد بالانشغال الذى كان من أجله النهى عن كتابة السنة :

أ- مـا كان للنبـى أن يكتــب 0

ب- ولما كان له أن يأذن بالكتابة عنـه 0

ج- وما كان له أن يأمر بالتحديث عنه 0

د-ولما كان للصحابة والتابعين أن يقتدوا بالنبى فيما سبق، من الكتابة والإذن بالتحديث

هـ- ولمـا كـان هنـاك مَعْنَـى [لَـهِــمٍّ] عمـر بالتـدوين وإقـرار الصحابة له على ذلك ثم عدوله عنه، إذ كيف يهم بتدوين شىء ليس بحجة، وكيف يجوز على الصحابة أجمع إقراره علـى هـذا التدوين؟

و- بل ولم يجز تدوين السنة تدويناً رسمياً فى عهد عمر بن عبد العزيز 0

ز- ولما جاز إجماع الأمة بعد عصر الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا على كتابتها وتدوينها

ح- بل ولما جاز منهم الإجماع على حجيتها واعتبارها المصدر التشريعى الثانى الملازم لكتاب الله لا ينفصل أحدهما عن الآخر 0

ثانياً : الجواب عن شبهة أن النهى عن كتابة السنة يدل على أن النبى

إذا بطل هذا الفهم الأعوج من أعداء الإسلام لمعنى"خوف النبى والصحابة من الانشغال بالسنة عن كتاب الله، بألا يكون مع كتاب الله كتاب آخر، بطل أيضاً ما فهموه من أن النهى عن كتابة السنة من النبى والصحابة والتابعين 0 دلالته عدم صلاحية السنة لكل زمان ومكان، وعدم تأبيد ما جاء به السنن من أحكام 0

وهذا ما تأثر به رشيد رضا -رحمه الله- وعبر عنه بأنهم:"لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث ديناً عاماً دائماً كالقرآن"0

وكيف يصح القول بأن مراد النبى من نهيه عن كتابة سنته ألا تكون ديناً عاماً دائماً كالقرآن 0

1- فعلام إذن يقرنها مع كتاب الله مبيناً أن الاعتصام بهما عصمة من الضلال فى قوله: **"إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه"[1]0**

2- وعلام يأمر بتبليغ سنته المطهرة فى قوله : "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع[2]0

3- وعلام يوصى بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين والعض عليها بالنواجذ عند الاختلاف فى قوله : "فإنه من يعش منكم : فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[3]0

4- وعلام التحذير الشديد من الكذب : "إن كذباً على ليس ككذب على أحد 0 فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[4]0

5- وعلام يحذر ممن يأتيه الأمر مما أمر به أو نهى عنه فيعترض ويقول : "بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، ثم يبين أن ما يجرمه بوحى مثل ما حرمه الله فى كتابه قائلاً : "إلا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله"[5] وذلك التحريم دينٌ دائمٌ إلى يوم القيامة كما سيأتى من قول عمر ابن عبدالعزيز : "فما أحل على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة"0

6- علام يصف الزائغ عن سنته المطهرة بأنه هَالِكٌ كما قال : "قد تركتكم على البيضاء 0 ليلها كنهارها 0 لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك"[6] 0

---

1 () سبق تخريجه ص 196 0

2 () سبق تخريجه ص 273 0

3 () سبق تخريجه ص 38 0

4 () سبق تخريجه ص 275 0

5 () سبق تخريجه ص 223 0

6 () جزء من حديث طويل أخرجه ابن ماجة فى سنته المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 1/29 رقم 43، وابن أبى عاصم فى كتاب السنة، باب ذكر قول النبى [illegible]